

النشاط الثقافي في الوطن العربي

من
مراجعات
"الأدب"

أبريل) في قسنطينة، عاصمة الشرق الجزائري. وقد احتوى هذا الأسبوع على ألوان مختلفة من الثقافة. فهناك معرض فني اشترك فيه حوالي عشرين فنانا بلوحاتهم المتنوعة. كما احتوى المعرض على كتب ومخطوطات، وعلى نماذج من الصناعات التقليدية، وعلى طوابع بريدية، ثم صور مختلفة.

الجزائر

وضع الثقافة العربية

رغم فقد الوسائل المخصصة، فإن هناك نشاطا ثقافيا ملحوظا في الجزائر منذ مطلع هذه السنة. وقد ساهم في هذا النشاط جامعة الجزائر، ووزارتنا التربية والإخبار، وبعض المجلات والأفراد. ويمتاز هذا النشاط بطابعين بارزين: الصراع بين الثقافة العربية والفرنسية، والصراع بين الإقليمية والقومية. وعلى أية حال، فإن استمرار بعض مظاهر هذا النشاط قد يساعد على وضع النقاط على الحروف.

١ - ندوة الأساتذة

تحت عنوان «ندوة الأساتذة» يدير الدكتور أبو القاسم سعد الله ندوات ثقافية تتناول موضوعات شتى. يشترك في كل ندوة عدد من الأساتذة الجامعيين. وقد انعقدت حتى الآن ثلاث ندوات هي:

١ - «دور الجامعة في العالم الثالث»، اشترك فيها كل من الدكتوروة ليلى الصباغ ببحث عن «الدور التاريخي للجامعة»، والاساتذ عبد الرحمن الحاج - صالح ببحث عن «وضع الجامعة أزاء الأيديولوجيات العالمية».

٢ - «رسالة الفكر العربي المعاصر»، اشترك فيها الدكتور احسان النص ببحث عن «ملامح الفكر العربي المعاصر»، والاساتذ عبد الله ركيبي ببحث عن «دور الأدب العربي المعاصر»، والاساتذ محمد سميدى ببحث عن «علاقة الفكر العربي بالتيارات العالمية المعاصرة».

٣ - «الأدب الجزائري الحديث»، اشترك فيها الاساتذ صالح خرفي ببحث عن «الشعر»، والاساتذ عبد الله ركيبي ببحث عن «القصة القصيرة»، والاساتذ حنفي بن عيسى ببحث عن «الأدب الجزائري بالفرنسية».

وقد علمنا أن موضوع الندوة الرابعة سيكون عن «تيارات الفكر الأوروبي منذ ١٩٢٥» وتجلب الندوة عددا كبيرا من المهتمين بالثقافة والنضابا المعاصرة، وتثير عادة نقاشا خصبا.

٢ - محاضرات وزارة التربية

يقوم القسم الثقافي بوزارة التربية بتنظيم سلسلة من المحاضرات الأسبوعية التي يساهم فيها عدد من المثقفين بالعربية والفرنسية. وقد افتتح هذا المشروع الدكتور أبو القاسم سعد الله بمحاضرة عن «حركة الأمير خالد (١٩١٩ - ١٩٢٥)». ثم تلاه الاساتذ عباس أبركان الذي تحدث عن «الثقافة الدولية والعالم الثالث»، والاساتذ عبد المجيد مزيان عن «مشاكل الثقافة الجزائرية»، والاساتذ عمارة طالبى عن «فجر الفلسفة في المغرب العربي»، والاساتذ مالك بن نبي عن «دور المستشرقين»، والاساتذ متولي شعراوي (من مصر) عن «إبعادات الهجرة»، والدكتور بديع حقي (من سورية) عن «لوركا بلبل الأندلس»، ثم ندوة خاصة بذكرى «عبد الحميد بن باديس». ويبدو أن المشروع سيتواصل. وهو، كندوة الأساتذة، قد جعل الجمهور العربي في الجزائر يتتبع باهتمام تفاعلات الفكر الإنساني.

٣ - الأسبوع الثقافي في قسنطينة

اشرفت وزارة الإخبار على إقامة أسبوع ثقافي (٢٩ مارس - ٤

وكان للأفلام والروايات (عربية واجنبية) حظ كبير خلال هذا الأسبوع. من بين الأفلام العربية «الوحش» لصالح أبو سيف، و«ريح أوراس» و«حسن الطيرو» كلاهما للأخضر حمينة، و«معركة الجزائر» لبورتيكورفو، و«الليسل يخاف الشمس» لمصطفى بديع، و«فجر العذابين» لأحمد راشدي. ومن بين المسرحيات «الجنة المطوفة» لكاتب ياسين، التي عرضت بالعربية. وبالإضافة إلى ذلك، كان هناك عدد من الأفلام القصيرة والوثائقية التي جانب سهرات موسيقية، وحفلات راقصة تمثل الفن التقليدي والحديث.

أما المحاضرات فقد كان لها هي الأخرى مكان بارز خلال هذا الأسبوع. من الذين ساهموا بهذا الصدد الدكتور أبو القاسم سعد الله، الاساتذ بجامعة الجزائر، عن «الثقافة العربية في الجزائر خلال القرن ١٩»، والسيد عدنان، الاساتذ بالمدرسة الوطنية للفنون الجميلة، عن «إمكانية الرسم الجزائري»، والاساتذ سفير الجودالي عن «عظمة وبؤس الموسيقى الجزائرية»، والسيد مولود ممصري، الاساتذ بجامعة الجزائر، عن «نظرية حول الثقافة الجزائرية»، وأخيرا الاساتذ مالك حداد عن «مفتاح لسيرته» (أي قسنطينة).

وتجدر الإشارة إلى أن جميع المحاضرات التي أقيمت خلال الأسبوع كانت بالفرنسية، باستثناء محاضرة الدكتور سعد الله. وهناك وعود من المسؤولين وعلامات في الطريق تشير إلى أن هذه المحاولة لم تكن سوى بداية لطريق أفضل لخلق تفتح ثقافي شامل.

٤ - الكتاب .. والشركة الوطنية للنشر

في جانفي (يناير) ١٩٦٦ تأسست الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ذات الصلاحيات المطلقة في احتكار استيراد وتصدير جميع الطبوعات من وإلى الجزائر، سواء كانت عربية أو أجنبية. كان الدافع إلى تأسيسها نبيلاً. فقد كانت هناك شركة فرنسية باسم «هاشيت» تحتكر استيراد وتصدير الكتب الفرنسية، وبذلك كانت تمثل، في الحقيقة، بقية استعمارية. وللقضاء على ذلك حلت الشركة الوطنية محل «هاشيت».

وقد نشرت أخيراً جريدة «المجاهد» اليومية الصادرة بالفرنسية تحقيقاً في خمس حلقات حول هذا الموضوع. ورغم أن المحقق، السيد الزواوي بن عمادي، قد أهمل تقريباً حالة الكتاب العربي، فإن ما جاء في التحقيق من آراء وقضايا جدير بالتلخيص على الأقل. بدأ السيد ابن عمادي بلمحة عامة عن وضع الكتاب في الجزائر. ومن رأيه أن الجزائر ما دامت لا تملك وسائل الإنتاج الذاتية الكافية، فلا بد لها من الاستيراد من الخارج: فرنسا والشرق العربي.

وفي المقالين الثاني والثالث لخص المحقق رأي الطلبة وأصحاب المكتبات التجارية. وانتهى إلى أن جميعهم تقريباً قد أبدوا تحفظات وشكاوى: منها عدم الكفاءة، وقلة الكتب الواردة، وعدم وجود الكتب المقررة، وضعف الصلة بتجار الكتب خارج العاصمة. وهنا نلاحظ أن ابن عمادي اكتفى بإيراد آراء أصحاب المكتبات التي تباع الكتب بالفرنسية. ولم يذكر بخصوص الكتاب العربي سوى رأي صاحب مكتبة النهضة.

وقد شكنا صاحب هذه المكتبة من أن مسؤولي الشركة الوطنية لا يفهمون عقلية الناشرين في المشرق العربي ، وأنهم لا يدركون حاجة القارئ الجزائري بالعربية ، وأن الشركة ، إذا أمكنها ، على علاقتها ، أن ترضي رغبات قراء أفراسية ، فإنها لا تملك أية وسيلة لارضاء رغبات قراء العربية . واذف انه اصبح لا يستطيع ان يكون بائع كتب ، وانه قد يضطر الى تحويل مكتبته الى دكان سلعة اخرى غير الكتب لكي يعيش . وطالب اخيرا باعطاء الصلاحيات لاصحاب المكتبة العربية لاستيراد الكتب مباشرة من المشرق .

اما في المقال الرابع والاخير فقد اعطى رأي الكتاب الجزائريين ثم خاتمة . ومن الملاحظ انه لم يذكر أي رأي لكتاب العربية . يقول مولود معمري ان على الكتاب الجزائريين الذين سبق لهم النشر في الخارج (فرنسا ، طمعا !) ان يواصلوا عملهم لغائفة الجميع (؟) اما بالنسبة للشبان فمن الافضل لهم ، بناء على رأيه ، النشر عن طريق الشركة الوطنية . وقد لاحظ ان علاقة الكتاب والناشر ما زالت غير محددة في الجزائر . اما نادبة غندوز فقد اعترفت بان الشركة تعطي الى الكتاب الشباب فرصة للظهور . وشكا كاتب آخر من ان الشركة تتدخل في الاعمال الفكرية باعادة تحريرها . وقال اخر ان الشركة لم تكتشف حتى الان اية موهبة رومانسية ، الخ .

ورغم ان السيد ابن عمادي قد ختم تحقيقه بقوله : « نعم للاحتكار ! » فان المشكلة ما زالت قائمة . ونعتقد انها ستظل كذلك الى ان يجد المسؤولون حلا لارواء العطش الثقافي الذي تعاني منه الجزائر ، ولا سيما العطش الى الفكر العربي .

٥ - مأساة الكتاب العربي

ابتدأت مأساة الكتاب العربي في الجزائر منذ ١٨٣٠ ، حين نزل الغزاة بارض الوطن واقاموا سدودا عالية لعنق الثقافة العربية عامة . وقد توقع كثير من الجزائريين ان الاستقلال يعني تحطيم تلك السدود ، ولكنهم سرعان ما صدموا بوضع سد من نوع اخر في وجه الثقافة القومية . حقا ان بلدان العالم الثالث في وضع يجعلها عرضة للتأثير من الخارج ، ومن ثمة يصبح توجيه الرأي العام امرا لا مناص منه للمحافظة على حرية واستقلال البلاد المعنية . ولكن هناك فرق بين الاحتكار والتنظيم . طمعا يرى كثير من الفيوين على الفكر القومي ضرورة تنظيم استيراد وتصدير المطبوعات الاجنبية . ولكن هل يمكن اعتبار الكتاب العربي انتاجا اجنبيا ؟

وفي ميدان النشر لم يظهر اي كتاب بعد خلال هذا العام . اما في العام الماضي فقد ظهرت عدة اعمال ، ولكنها بسيطة جدا . ومما يذكر ان الشركة الوطنية للنشر والتوزيع لم تنشر في العام الماضي بالعربية ، حسب علمي ، سوى ثلاثة دواوين : ديوان محمد العيد ، و « اوراق » لابو القاسم خمار ، و « الارواح الشاغرة » لعبد الحميد بن هدوقة . ومن الطبيعي انها ظهرت اعمال اخرى خارج نطاق الشركة ، مثل « بحيرة الزيتون » (قصص) للدكتور ابو العيد دودو .

والحديث عن الكتاب العربي - الجزائري يجر الى الحديث عن انتاج الجزائريين المنشور في المشرق العربي . ان هذا الانتاج يجد صعوبة كبيرة في دخول الجزائر لانه يعامل كبضاعة اجنبية . وهناك عدد من الكتب من هذا النوع ما زالت تعاني من هذه المعاملة . من ذلك « دراسات في الادب الجزائري الحديث » وديوان « نادر وحب » للدكتور ابو القاسم سعد الله (نشر دار الاداب ، بيروت) ، و « احاديث في الادب والثقافة » لعبد الله ركيبي (مصر) ، و « الرصيف الثائم » للسيدة زهور وتيسي (مصر ايضا) ، و « ابن باديس حياته واثاره » لعمار طالبي (سورية) . وقد يكون هناك غيرها .

اما بخصوص المجلات والصحف العربية فحالتها تذكر مرة اخرى بمأساة الثقافة العربية في الجزائر . ليس هناك سوى صحيفة واحدة عربية يومية لشعب عربي تعدده اكثر من اثني عشر مليونا (مقابلس

ثلاث صحف بالفرنسية) . وهناك جريدة واحدة عربية اسبوعية (مقابل اثنتين بالفرنسية) . اما الدوريات الشهرية فهناك ، على ما اعرف ثلاث فقط ، وهي « القبس » و « الجيش » و « المجاهد الثقافي » (ونلاحظ ان الاخيرة ما زالت غير منتظمة في الصدور) . ورغم ان المستوى الثقافي لهذه الدوريات ما زال ضميما عموما ، فانها ، بلا شك ، تعكس الاتجاه العربي للبلاد ، وتجمع حولها مثقفي العربية الذين يشعرون ان الوضع الثقافي العام قد جعلهم غرباء في بلادهم . ومما زاد الامر سوءا ان هذا الفراغ الفكري لم يملأ بانتاج الوطن العربي . فهناك كتب ومجلات عربية تصدر في المشرق ، ولكنها لا تصل الى ايدي القراء العرب في الجزائر . وفي مقابل ذلك تفيض الاسواق المحلية بالانتاج الاجنبي .

والخلاصة ان وضع الثقافة العربية في الجزائر يمر بمرحلة دقيقة ، وان هناك ضغوظا كثيرة تهدف الى رمي الفكر العربي بالقصور تبريرا لمضاعفة الجهود الرامية الى « اجنبية » الجزائر حصاريا . ولا شك ان الفكرة الاقليمية تفدي هذا الاتجاه .

٠٤ س٠

الجزائر

ج.ع.م

رسالة من : سامي خشبة النظرية الثورية والجماهير الثورية * * *

ابدا كتابة هذه الرسالة في يوم الخميس ٢ مايو سنة ١٩٦٨ . اليوم الذي يخرج فيه الناخبون المصريون للدلاء برايمهم في برنامج ٢٠ مارس الذي طرحته القيادة السياسية على الشعب العربي في مصر بغرض وضع الاسس العملية لبدء مرحلة جديدة من مراحل العمل السياسي الثوري في ج.ع.م . وهو اليوم نفسه الذي تحشد فيه اسرائيل دعائها وجانبها كبيرا من قواتها العسكرية لتستعرض هذه القوة في شوارع القدس العربية المحتلة الصامتة المقلقة الابواب في وجهه استعراض العدو ، اعتصاما وانتظار اليوم غير البعيد تعود فيه الامة العربية الى ميدان القتال لتصفية الحساب .

وبينما تشير كل الدلائل في الجمهورية العربية المتحدة الى موافقة اجماعية من جانب جماهير الشعب العربي في مصر ، تأتي برقية تحملها وكالة رويتر البريطانية تقول ان الفدائيين الفلسطينيين العرب (وتسميهم الازهايين) قد نجحوا في الوصول الى منطقة تجمع قوات العرض الاسرائيلي واستطاعوا ان يضربوا مؤخرة هذه القوات بالصواريخ وقذائف الهاون وان يوقعوا بها خسائر فادحة . لم تكن الوكالة قد عرفت تفاصيلها بعد . ثم آثرت الوكالة الاستعمارية من بعد ذلك الصمت ، حرصا على سمعة الجيش الاسرائيلي رغم انها كانت قد وعدت في نهاية برقيتها الاولى والوحيدة بمناجعة تفاصيل هجوم الفدائيين العرب .

الشعب العربي في مصر يملن استعداده لمواصلة النضال من اجل النصر ، ومن اجل مواصلة بناء الاشتراكية والديموقراطية في وطنه العربي ، بينما طلائع مناضلة من ابناء الشعب العربي في فلسطين تواصل كفاحها المسلح الذي يعد البداية العملية الصحيحة لتحرير فلسطين واقامة الدولة الفلسطينية الديموقراطية التحررة من التمسب ومن العنصرية ومن سيطرة الدوائر الصهيونية العدوانية المتواطئة مع الامبريالية العالمية .

الشعب العربي في مصر يبدأ مرحلة يستجمع فيها قوته ويمسك تنظيم بنائه الداخلي السياسي والاقتصادي والعسكري حتى يكون في الوضع اللائم لمواجهة كافة احتمالات الصراع من اجل تحرير الارض

واستخلاص الحق وتحقيق حرية تقرير المصير للشعب العربي كله .
 وطلّاع الشعب العربي الفلسطيني تستمر في عملها المسلح من أجل
 الاهداف نفسها ، فوق الارض التي اغتصبت وضاع فوقها الحق وفوقها
 ضاع حق تقرير المصير .
 ما الذي يعنيه كل ذلك بالنسبة للنشاط الثقافي في الجمهورية
 العربية المتحدة ؟

في رسالة العدد الماضي تناولت عددا من مقالات الاستاذ محمود
 أمين العالم كان قد نشرها في مجلة الصور القاهرية . وفي الرسالة
 اشرت الى ما قاله العالم عن الميثاق الوطني الذي اقره مؤتمر القوى
 الوطنية في ج . ع . م . سنة ١٩٦٢ ، وكيف ان هذا الميثاق كان من
 الممكن ان يكون بداية مقولة لنشاط نظري يبذله المفكرون الثوريون
 المصريون من أجل الوصول الى صياغة النظرية الثورية المصرية المطلوبة
 من أجل تغيير العقليّة المصرية ودفعها الى مستوى العصر الذي نعيش
 فيه ، على ان يستند هؤلاء المفكرون على ما احتواه الميثاق من أساس
 نظري يتمثل في نظريته العلمية الى التاريخ والصراع الاجتماعي وفهمه
 لاحتامية الحل الاشتراكي . الخ . وقد تمتع حديث الاستاذ العالم في
 نظري بصدقه النسبي وجدارته بالتلخيص والعرض . واحب الان ان
 اضع في مقابلته تصورا آخر للعمل على تغيير العقليّة المصرية ،
 تصورا تحقق بالفعل أو أنه قد شرع يشق طريق التحقق الواقعي
 والفعلية .

لقد نعى محمود أمين العالم على المثقفين الثوريين المصريين تخلفهم
 عن محاولة بناء الفكر النظري الثوري القائم على دراسة الواقع المصري
 والقائم - في الوقت نفسه - على الجانب النظري من الميثاق ، هذا
 الجانب الذي احتواه الميثاق بين طياته ولم يفرد فصلا او فصولا
 خاصة به .

ولا يشك احد في تقصير هؤلاء المثقفين في ذلك المجال ، هذا
 التقصير الذي ينبع لا من عدم احساسهم بالمسؤولية ، بقدر ما ينبع من

استسلامهم الكامل لعقوبة الاحداث اليومية ، واكتفائهم بتحليل تلك
 الاحداث يوما بعد يوم . ولكن حقيقة الواقع الثوري المصري اوسع بكثير
 من تقصير المثقفين الثوريين فهي بناء النظرية الثورية المصرية او
 شروعهم في هذا البناء واسراعهم اليه . فالحقيقة ان النظرية الثورية
 لا يمكن ان تكامل شروط بنائها أو خروجها الى الوجود الا بناء على
 حركة ثورية تشمل القاعدة العريضة من جماهير الطبقات الثورية التي
 تأتي النظرية لكي تعبر عن خلاصة تجاربها ومواقفها ونضالاتها ، ولكي
 ترسي الاساس العلمي المدروس لخلاصة مفاهيمها العقوبية وخبراتها
 التي اكتسبتها من واقع حياتها العملي دون تخطيط سياسي مسبق
 ودون توجيه نظري يزيد عن توجيه المؤثر القومي الذي تستخلصه هذه
 الجماهير من حركة الواقع نفسه ومن تحركها هي نفسها في قلب هذا
 الواقع تدفعها مصالحها وتحددها علاقات القوى الاجتماعية فيه . ومن
 خلال احتدام المتناقضات بين الجماهير الثورية وبين اعدائها ، تندفع
 اقسام متزايدة من هذه الجماهير الى العمل السياسي الثوري ، حيث
 تصبح تجاربها أكثر تخطيطا وخبراتها أكثر تحديا وحيث تتخلص حركتها
 من عفويتها وتشتتها وتكتسب وعيا متزايدا بحقيقة في هذه التناقضات ،
 وبحقيقة القوى المشتركة في انصراع والعلاقات القائمة بينها . في هذه
 الحالة فقط يمكن للفكر الثوري ، ويمكن للمثقف الثوري ان يصل الى
 الوضع الذاتي اللازم لصياغة النظرية الثورية وتشييد بنائها .

اننا لا نستطيع ان نفصل المثقفين الثوريين عن كتلة الجماهير
 الثورية ، ولا نستطيع اعتبارهم طبقة مستقلة بكيانها الاجتماعي او
 بمصالحها ، مثلما قال جمال عبد الناصر في حديثه مع المثقفين في
 جامعة القاهرة . وهكذا لا نستطيع ان نطالب المثقفين بصياغة نظرية
 ثورية كما لو كنا نطالبهم ان يقوموا بانجاز عملهم في منزل عن حقيقته
 الحركة الثورية كلها وفي منزل عن مقدار انجذاب الجماهير الثورية ،
 او صاحبة المصلحة في الثورة الى العمل السياسي الثوري - او بتغيير
 ادق - لا يمكن ان نطالب هؤلاء المثقفين بصياغة النظرية الثورية دون ان
 نضع في اعتبارنا مقدار نضج الثورة نفسها لذلك . ليس صحيحا ان
 النظرية الثورية هي التي تصنع الثورة ، وانما تصنع الثورة - فهي
 مسار نضجها الطويل - نظريتها الثورية في اللحظة اللامتناهية ، كما انه
 ليس صحيحا ان النظرية تعود بحق صياغتها لكي توفق الثورة التي
 كلماتها فلا تتحرك الا بمقدار ما تسمح لها الكلمات بذلك . ان النظرية
 اذا فعلت هذا استنادا الى السلطة فانما تفقد جوهر ثورتها الاصيل
 وهو انها كانت من صنع الثورة نفسها وكانت تعبيرا عن اتحاد الثورة
 بحركة الواقع وتساوقها مع اتجاه هذه الحركة بقدر ما كانت تعبيرا عن
 ارادة التغيير الثوري الذي تصنعه الجماهير وخطط هذا التغيير
 واسسه واهداه .

وهكذا فلا يسعنا الا ان ننصوّر المثقفين الثوريين المصريين في نفس
 مستوى تصورنا للجماهير الثورية المصرية ، ولا يسعنا ان ننصوّر نضج
 هؤلاء المثقفين وقدرتهم على صياغة النظرية الثورية المصرية الا في ارتباط
 بتصورنا عن مقدار نضج الثورة المصرية نفسها ، هذا النضج الذي
 لا مقياس له الا مقدار انغماس الجماهير الثورية في عملها السياسي
 الثوري .

اننا لا نبرر بهذا التصور ما نسميه بتقصير المثقفين الثوريين في
 مصر عن « اداء واجبهم » بتقصيرهم عن صياغة النظرية الثورية المصرية .
 فالاسلم هو ان نسمي هذا التقصير « قصورا » عن القيام بهذه الصياغة
 او بمدى عن الوضع اللازم للقيام بها . كذلك فاننا لا نبرر بهذا التصور
 « تجريبية » حركة الثورة ، فان استفادة هذه الحركة من خبرات
 الثورات المعاصرة لها ، واستفادتها في تحديد اتجاهها من حساسيتها
 تجاه حركة الجماهير الثورية وتطلعاتها ومطالبها ، هما ما يحميان الثورة
 من سيطرة هذه النزعة التجريبية . وفي الوقت نفسه فاننا لا نلغي
 اهمية وجود « النظرية » ولا نلغي دورها ، ولكننا نؤكد ان النظرية لا
 يمكن ان « تصطنع » اعتسافا قبل ان يتهاى الواقع الثوري لولادتها ،

مكتبة انطوان

تقدم

معرض الكتاب العربي

لدار المعارف مصر - لبنان

ابتداء من ٢٣ - ٥ - ٦٨ لغاية ٦ - ٦ - ٦٨

بحجم ٢٠ الى ٤٠٪

والقبول بها بعد ولادتها دليلا للحركة الثورية ومرشدا لها .
والحق هو ان تاريخ الفكر الراديكالي المصري كله لم يشهد محاولة شاملة لصياغة نظرية عامة او « مذهب » فكري يعبر عن حركة الواقع المصري وانعكاسها على الفكر تفسيريا شاملا ، مثلما فعل المفسرون الكلاسيكيون الالمان ، او مثلما فعل مفكرو الثورات البورجوازية الكبرى في اميركا وانجلترا وفرنسا ، ومثلما فعل لينين في روسيا او ماو تسي تونج في الصين بالنسبة لثورتيهما الاشتراكيتين . ولكن هذا التصور التابع من النظر الى مجال « تاريخ الفكر » المصري وحده لا يكفي لفهم هذه الظاهرة . فالحق هو ان البورجوازية المصرية قد عجزت على الدوام عن تحريك جماهير الشعب كله وراعاه في ثورتها ، او وراء شعاراتها الخاصة ، بل كانت تسرع الى ضرب هذه الجماهير اذا احست بان حركتها اوشكت ان تفلت من يديها او اوشكت على الخروج عن الاطار الذي حددته القيادة البورجوازية لها ، مثلما فعلت القيادة البورجوازية - او الجناح الاكثر تقدمية من هذه القيادة متمثلا في سعد زغلول وحكومته الوفدية الاولى - في نهاية سنوات الثورة الوطنية بعد سنة ١٩١٩ . ولعل هذا هو السبب الرئيسي فيما اعترى الثورة البورجوازية المصرية نفسها من تخبطات ومن جوانب القصور والعجز ومن تخوف من الوصول الى اهدافها واهداف طبقتها نفسها . ولعل هذا النظر السياسي الفصير والتخبط والعماجز هو ما انعكس على الفكر المصري الليبرالي نفسه فاصابه بالعجز عن تقديم تصور شامل وكلي عن الواقع المصري وعن حركته .

ولكن هذا الحكم لا ينبغي ان ينسبنا ما قدمه هذا الفكر الليبرالي نفسه من جهود في سبيل تغيير العقليّة المصرية وتطعيمها بالروافد الجديدة الجياشة منذ كتب رفاة رافع الطهطاوي كتبه التعليمية الاولى بعد عودته من فرنسا في اوائل القرن السابق . لقد جدت هذه المحاولات الجزئية المتعددة والكثيرة عقليّة الشعب المصري وان لم تحدث بها ثورة شاملة تشبه ثورة العقليّة الاوروبية في القرنين السادس عشر والسابع عشر او شبه ثورة العقليّة الروسية في اوائل القرن العشرين . وقد حدث هذا التجديد القوي - وان ظل جزئيا ومحصورا في دائرة المتعلمين البورجوازيين - دون ان يقدم مفكرو البورجوازية نظرية شاملة تجسد مجموع او خلاصة خبرة العقليّة البورجوازية ونظرتها ، المستمدة من خبرتها مع الواقع نفسه ، لان هؤلاء المفكرين ، انما حدهم اطار هذا الواقع وامكانياته ومدى قوة الزخم الثوري الذي جاش داخله .

ويبدو ان هذا العجز كان قد اصبح وراثيا عند اجيال المفكرين او المثقفين المصريين ، طالما استمرت حركة الواقع في المستوى نفسه ، وطالما استمر عجز هذه الحركة عن جذب القسم الاكبر من الجماهير الثورية . فقد بدا وضوح العجز الفكري نفسه جليا عند المثقفين الثوريين الاشتراكيين ، فلم يستطيعوا ان يصوغوا تصورهم النظري المصري ، او نظريتهم الثورية المصرية ، رغم كثرة المحاولات لتطويع افكار الاشتراكيين الاوروبيين - من ماركسيين وغيرهم - للواقع المصري . وقد تكون هناك اسباب كثيرة لعجز المثقفين الاشتراكيين في مصر عن صياغة نظريتهم الثورية - اكثرها شهرة هو عجزهم عن تطويع الفكر الاشتراكي الاوروبي للتراث العربي التقدمي وعدم قدرتهم على صياغة افكارهم من خلال تصورات هذا التراث ولفته ومصطلحاته واساليبه . ولكننا نعتقد ان اهم اسباب هذا العجز كان هو عدم قدرة هؤلاء المثقفين على تبين حقيقة القوى الاجتماعية القادرة على حمل عبء الثورة الاشتراكية ودفعها الى التحقق ، ومن ثم عجز هؤلاء المثقفين عن « تحريك » الجماهير بقوة التنظيم والدعاية ، بعد ان عجزوا عن انتهاز فرصة اية هبة تلقائية لهذه الجماهير من اجل تنظيمها وتوحيدها وتحويلها الى بذرة عمل ثوري منظم ومستمر ، يجذب الى مركزه اموجا متزايدة من الجماهير المستعدة للثورة او المنهية لتقبلها . ورغم هذا العجز الذي اصاب المثقفين الاشتراكيين القدامى في

مصر ، فلا يمكن لاحد ان ينكر اثر جهدهم الثقافي والنضالي في بذور كثير من بذور الفكر الاشتراكي ، العلمي وغير العلمي ، في تربة كانت مهياة تماما لتلقي هذه البذور وتغذيتها والمحافظة عليها وتنميتها . وعلى ذلك فليس في وسع احد ان ينكر دور هؤلاء المثقفين الاشتراكيين في تهيئة المناخ الفكري المصري لاجداث التغيير الثاني للعقليّة المصرية منذ بداية القرن التاسع عشر وتحويلها نحو النزعة العلمية والروح الجماعية والتضامن الانساني .

لقد تغيرت العقليّة المصرية مرة دون ان تكون هناك نظرية مصرية للثورة البورجوازية ، وها هي العقليّة المصرية توشك ان تلج مرحلة التغيير الثانية قبل ان « تصاغ » النظرية المصرية للثورة الاشتراكية . ولكن التغيير في ظل الثورة الاشتراكية لا يمكن ان يترك للحركة العفوية للواقع . فالحركة العفوية لا يمكن ان تولد تصورا علميا للعالم وللتاريخ وللمجتمع والانسان ، وهو التصور الذي بدون ان تحصل عليه الجماهير يستحيل « اتمام » الثورة الاشتراكية . قد يمكن للتحويل الاشتراكي للمجتمع ان يبدأ دون وجود « نظرية » اشتراكية متكاملة خاصة بهذا المجتمع ، وهذا هو ما حدث في مصر والجزائر وغينيا على سبيل المثال ، الا انه من المستحيل على هذا التحويل ان يستمر ، او ان يصل الى مرحلة نضجه الحقيقي ، دون وجود هذه النظرية التي تكفل ترشيده العمل الثوري وتنظيمه وتنسيقه في كافة مجالاته الاجتماعية من اجل تحقيق النمو الاجتماعي التكافؤ بين القاعدة المادية لهذا النمو وبين البناء الفوقي المتمثل في اخلاقيات الناس وفي كل ما يمس تفكيرهم او ثمار « عقولهم » . قد يكفي في بداية التحويل الاشتراكي وجود « فكر » نظري عام ، غير متساقط متساوقا كاملا مع حركة الواقع نفسه وغير نابع من هذه الحركة او غير مكتمل - فكريا - كبناء نظري ، ولكن هذا الفكر النظري ، الذي قد يكفي لوضع « التحليلات » اليومية لا يكفي لاعطاء تصور شامل عن حركة الواقع ومن ثم فلا بد ان تترك هذه الحركة لعفويتها ولا بد ان يترك الفكر لاستجاباته التلقائية واليومية

صدر في الاسواق

للدكتور بديع حقي

رواية

جفون تسخن الصور

اتجاه جديد في ادب الرواية العربية المعاصرة

يطلب من دار العلم للملايين وجميع المكتبات

ملحق للرسالة :

لقد وافقت جماهير الشعب العربي في مصر على برنامج ٣٠ مارس موافقة شبه اجماعية ، وبدأت الخطوات التنفيذية لاجراء الانتخابات لبناء جبهة قوى الشعب العاملة ، او الاتحاد الاشتراكي العربي التي ستصل بنفس طريق الانتخاب الى المؤتمر القومي لهذه الجبهة وهو الذي سينتخب للجنة المركزية التي ستتولى بناء التنظيم السياسي القائد للجبهة .

في هذه الفترة حدثت عدة احداث كانت جذرية بالتنامية والتعلق مما يدور في مجال النشاط الثقافي من الزاوية التي تشغل الان اهتمامنا جميعا : زاوية تغيير العقلية السائدة وتحويلها الى الايمان بالعلم والحرية والشجاعة وكرامة الانسان .

حدث ان اوقف الدكتور ثروت عكاشة وزير الثقافة عرض مسرحية « العرضحاجي » لميخائيل رومان ، ثم عاد فسمح بعرضها بعد ان امر بحذف بعض الجمل والمبارات من حوارها .

وحدث ان برزت حكاية ظهور شيخ او طيف السيدة العذراء ام الرسول عيسى المسيح على قبة احدى كنائس القاهرة .. وما انتاب الصحافة المصرية ، بل والتليفزيون المصري من جنون جريا وراء هذه الظاهرة .

وحدث ان اصدر مجموعة من المثقفين الشبان مجلة ثقافية «ادبية» اطلقوا عليها اسم « مجلة ٦٨ » ، واعلنوا في تصديرهم للمجلة ، انه رغم ان مجلتهم ليست مجلة سياسية « فهي تؤمن بانها لو نجحت في الكشف عن حقيقة ما يختلج في جوانح الكتاب والشعراء والفنانين من ابناء جيل اليوم ، تكون قد اوفت بالهد الذي قطعته على نفسها بالمشاركة في معركة التحرير والبناء .. » .

وقد كنا نرجو ان نتناول هذه الاحداث بالناقشة ، ولكن الاحداث الجزئية لا بد ان تنازل عن بعض مكانها للاحداث الاكثر شهولا . وقد كانت الحركة السياسية الشاملة التي احدثها برنامج ٣٠ مارس والاستفتاء عليه من الاهمية بحيث استغرق التعليق عليها رسالة هذا الشهر كاملة ، فنرجو ان نتناول هذه الاحداث او بعضها في رسالة الشهر القادم .

س . خ .

منشورات دار الآداب

تطلب في

الدار البيضاء (المغرب)

من

مكتبة دار العلم

للنشر والتوزيع

٤٠ شارع الملكي - الاحباس

تلفون ٦٢٣.٩

تطلب في دمشق

من وكيل الدار

مكتبة النوري

شارع سنجدار

لهذه الحركة العفوية . وهذا هو ما يمكن ان يدفع بالثورة كلها الى التجريبية القائلة ، طالما اصبحت الثورة في السلطة فعلا واصبحت بهذا الوضع قادرة على « تنفيذ » كل ما يخطر على بالها من افكار لا تستند الى خطة نظرية .

لقد عجزت قيادة الثورة البورجوازية المصرية عن تحقيق اهدافها طوال نصف قرن كامل لانها خشيت من الجماهير منذ بداية الثورة البورجوازية فاثقت حركتها او حاولت دائما ان تضغط على هذه الحركة وان تضربها . ولا يمكن للثورة الاشتراكية ان تكتمل او تحقق اهدافها دون مشاركة فعلية من نفس هذه الجماهير صاحبة المصلحة في الثورة الاشتراكية والتي لا يمكن ان تتحقق الثورة الاشتراكية الا بقوة حركتها الحرة الثورية .

وربما كان هذا هو المفزى الرئيسي لبرنامج ٣٠ مارس الذي يوافق عليه شعب الجمهورية العربية المتحدة اليوم . مفزاه : نقل قاعدة السلطة السياسية وقمتها الى جماهير الشعب العربي الثورية في مصر ، واطلاق حرية الحركة السياسية والمشاركة في العمل السياسي الثوري لهذه الجماهير . وباستكمال هذا الشرط وحده يمكن للثورة الاشتراكية ان تنضج ويمكن لمثقفها الثوريين ان يصبحوا في الوضع الملائم لصياغة نظريتهم .

ففي العمل السياسي الثوري تتعلم الجماهير السياسة ، وتكتشف نفسها وتكتشف اصدقاءها واعداها وقوتها الحقيقية وقوتهم الحقيقية . تكتشف ان العمل وحده هو الذي يصنع الواقع ويغيره وان العمل السياسي الثوري ، عملها هي السياسي الثوري هو الذي يصنع الواقع وهو الذي يغيره . وفي الثورة ، وفي العمل السياسي الثوري تتعلم الجماهير صراع الطبقات ، وتتعلم كيف توحد جبهة طبقاتها الثورية من اجل تحقيق اهداف نضالها في كل مرحلة . فتكتشف المعنى الحقيقي لوجودها الاجتماعي وتتعامل مع نفسها ومع الاخرين طبقا لهذا المعنى الذي اكتشفته . وفي الثورة ، وفي العمل السياسي الثوري ، تكتشف الجماهير من هم اصدقاء الطريق على طول مدها ، ومن هم اصدقاء المعركة او المعركتين ، ومن هم اعداء الحرب على امتدادها ، ومن هم اعداء الذين سيسقطون بعد معركة او معركتين . هكذا ، يصبح الشغل الشاغل للجماهير المندمجة في العمل السياسي الثوري ، هو واقعا المعاش ومصيرها السياسي وعلاقات القوى التي تكون هي طرفا فيها ، ولا تكون ثمة فرصة لتجار الفكر الفبي والاحلام الخيالية للسيطرة على عقلية الجماهير وامتصاص طاقة سخطها وحلمها بالخلاص وتحويلها في سراديب الاحلام الاسطورية المظلمة ، استنادا الى ما تحمله هذه الجماهير نفسها من بقايا الافكار الفيسية التي سيطرت عليها طوال قرون .

وهكذا يصبح تغيير العقلية السائدة بين الجماهير امرا واقعا وعمليا ، وليس مجرد مشكلة نظرية مطروحة للتأمل والناقشة .

ولما كنا لا نستطيع ان نفصل بين المثقفين الثوريين ، وبين الجماهير الثورية ، فنستطيع ان نقول انه في الثورة ، وفي العمل السياسي الثوري ، يزداد التحام هؤلاء المثقفين بالواقع ، ويزداد احساسهم به ، وادراكهم لابعاده وحقائقه والقوى الاجتماعية التي تكونه ، يزداد وعيهم بحاجتهم الى « معرفته » .. تاريخه وفلسفاته وادابه وسياساته واقتصادياته ولهجاته وفنونه وصنائه وما اثر فيه وما تآثر به وما افزره وما لم يستطع افرازه وطبقاته ومستوى تطوره ونوع العلاقات التي تحكمه .. هذه المعرفة الشاملة بالواقع ، اذا ما امتزجت بما يمتلكونه من المنهج العلمي في التفكير ، لاصبحوا في الوضع الذاتي الملائم للقيام بعملهم في مجال تخصصهم .. ان يصوغوا النظرية الثورية المصرية ، وان ينظروا الى الواقع الثوري نظرة شاملة لا تكتفي بتحليل الاحداث يوما بيوم ، ولا تستسلم لتلقائية التأمل او جمود النظرة الاعتقادية الميتة .

سامي خشبة

القاهرة